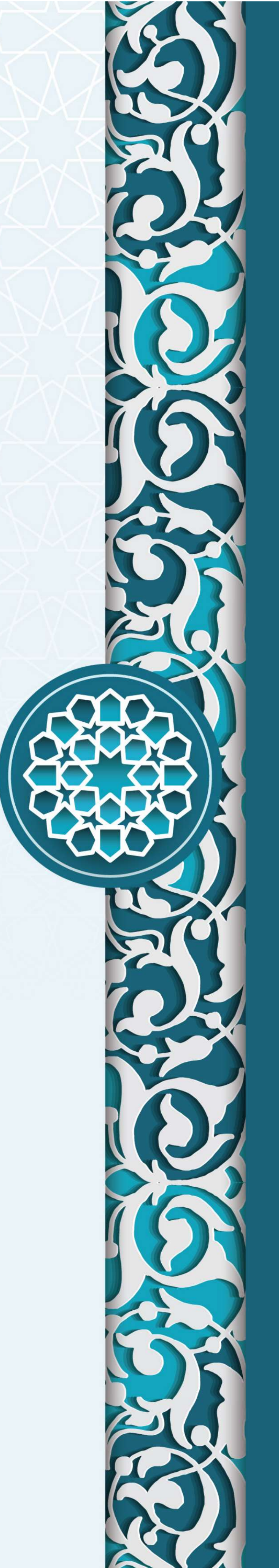
الرمز في قصة الطوفان

The symbol in the story of the flood

إعـداد

عبد ربه سالم الروسان
أستاذ مساعد في الجامعة الإسلامية /منيسوتا
Abdrousan٦٧@gmail.com
رقم الهاتف: ٠٧٧٨٣٧٨١٩٩





ملخص

لكل قصة من قصص القرآن الكريم رمزيتها الخاصة في الفكر الديني، وقصة الطوفان لها من الثراء الرمزي ما يثير الدهشة، فلكل مكون من مكونات قصة الطوفان دلالته الرمزية، فالأرقام في هذه القصة لها رمزيتها، وكذلك الأشخاص والأماكن والأحداث.

يتناول هذا البحث الوقوف عند وجه من أوجه إعجاز القرآن الكريم، وثمرة يانعة من ثمار هذا الكتاب العظيم ألا وهو أسلوب الرمز بوصفه من وسائل التعبير الذي يحمل في طياته دلالات ورؤى جديدة تساهم في خصوبة النص وإثرائه. والنص الذي حاولنا دراسته هو النص القرآني الذي يتحدث عن قصة الطوفان، وذلك لما يحمله من إيحاءات رمزية جديرة بالبحث والدراسة. بالإضافة إلى قصة الطوفان عند الشعوب الأخرى.

وقد اقتضت طبيعة البحث إضاءة جوانبه من الناحيتين النظرية والتطبيقية، ففي الجانب النظري تمهيد نظري يبين مفهوم الرمز لغة واصطلاحًا، وأما الجانب التطبيقي فكانت وقفات لعدد من الرموز التي كان لها حضور واضح في قصة الطوفان، ثم أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وقائمة بأسماء المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الرمز، نوح عليه الصلاة والسلام، القصة القرآنية، سفينة نوح، قصة الطوفان.

Every story in the Nobel Qur›an has its Unique Symbolism in the Religious Thoughts

The story of the Flood has a symbolic richness provoking amazement. Every component of the Flood story has symbolic significance. For example, numbers in the story all symbol and this applies to personalities, places, and events.

This research addresses one of the miracle aspects in the Nobel Qur›an and one of the most significant miracles in it; that is the use of symbol as one method of expression tools holding new visions and semantics contributing in the text richness. The text this study examine is the Qur›an text addressing the Flood story since it implies symbolic cues worthy of examination in addition to the Flood story at other nations. The nature of this study dictated the need for new illumination from the applied and theoretical aspects. In the theoretical aspect there was a preface clarifying the concept of symbol linguistically and theoretically. At the applied aspect there were some examples of significance symbols having a clear presence in the story of the Flood. The study was ended by a conclusion presenting the most important results in the study in addition to a list of references and citations.

Keywords: Symbol, Noah, Qur›an Story, the ARK, The Story of the Flood.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الأخيار إلى يوم الدين، وبعد، فإن قصص القرآن الكريم لها رمزيتها الدينية الخاصة، وقصة الطوفان تندرج ضمن دائرة الترميز الديني، وهذا البحث هو محاولة لرصد مختلف الأبعاد الرمزية لقصة الطوفان.

الطوفان هو رمز للدمار الذي يسببه الإنسان لنفسه وللعالم بسبب خطيئته دمار شخصي ودمار جماعي، فخطيئة الإنسان أيام نوح لم تكن مجرد خطيئة شخصية بل خطيئة جماعية شاملة فسد فيها قلب الإنسان وامتلأ شرًا، وفسدت الأرض وامتلأت عنفًا، والطوفان كان نتيجة لهذا الفساد، ولعل ما يستجلى من مفهوم الخطيئة الذي كرسته قصة الطوفان هو أن العقاب الإلهي العادل للخطيئة هو الموت لذلك كان الطوفان لكل من عصى نوحًا ودعوته.

وهكذا يتحول الطوفان إلى رمز للشر ولعالم الموت، ولكنه في نفس الوقت يعد رمزًا لميلاد جديد لعالم جديد عالم قد تم تطهيره وتنقيته من كل الشرور عالم نرى فيه نوحًا آدم جديدًا، فقد نجا نوح لكونه بارًا وكاملاً في جيله، فهو قد سمع كلمة الله فأطاعها وآمن بها، وهو بهذه المواصفات مثال لآدم إذ أنه سيعيد تشكيل الإنسانية من جديد كما فعل آدم في بداية الخلق.

هناك الكثير من القصص القرآنية ترمز إلى فكرة معينة مثل قصة سيدنا يوسف عليه السلام إذ ترمز إلى تجلده وصبره على الشدائد واجتياز الاختبارات لهدف إصلاحي هو إنقاذ الناس من المجاعة مظهرًا في ذلك أروع درس في الصبر، وأما النبي عيسى عليه السلام، فهو رمز المقاومة والفداء والتضحية، فقد تحمل آلام المحنة وعذاباتها

فداءً لدعوته التي ناضل من أجل إثباتها، وكان نوح عليه السلام رمزًا للصبر والتجلد والتحمل والانتظار الطويل، والعمل الجاد أملاً بالفرج من خلال امتثاله لأمر ربه بعمل سفينة تنقله وتابعيه إلى مكان جديد ينشر فيه دعوته، وكان أيوب عليه السلام رمزًا للصبر على البلاء والصلابة في تحمل الألم والرضا التام بقضاء الله، وأما شخصية السيدة مريم عليها السلام، فهي رمز ديني يشير إلى العفة والنقاء.

وهكذا فالرمز مظهر خفي يخفي حقيقة جوهرية يكتشفها ويستنبطها المتلقي من خلال الإمعان في المعنى الظاهري.

أولًا – مشكلة البحث وتساؤلاته:

للرمز أثر في حياة الناس، لذا فإن مشكلة هذا البحث تتمثل بسؤالها الرئيس وهو ما حقيقة الرمز؟ وما هي حقيقة قصة الطوفان؟ ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

١ ما هو المقصود بالرمز؟
٢ ما هي قصة الطوفان؟
٣ كيف حصلت قصة الطوفان؟
٤ ما حقيقة قصة الطوفان؟

ثانياَ – أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان حقيقة الرمز، وبيان حقيقة قصة الطوفان، وبيان قصة الطوفان عند الشعوب، ودلالة الأرقام في القصة.

ثالثاَ - أهمية البحث:

يأتي هذا البحث لبيان موقف القرآن الكريم، وموقف الكتب السماوية الأخرى من قصة الطوفان، وبيان العاقبة من مخالفة الأنبياء، والاتعاظ من هذه القصص، وإن الأشرار مصيرهم دائماَ الغرق المادي أو المعنوي.

رابعاَ – المنهج:

اتبع الباحث المنهج الوصفي والتحليلي لمختلف النصوص في قصة الطوفان.

خامساَ - الدراسات السابقة:

- دراسة (الأشقر، ٢٠١٧) الرمزية في القصة القرآنية:

تدور فكرة البحث حول القصة القرآنية، وما تحتويه من دلالات رمزية، فالقصة القرآنية فيها من الرموز ما يجمع بين الإيحاء والوضوح، وتعددت تلك الرموز في تلك الدراسة لتشمل بعض سور القرآن الكريم، ثم رمزية الأشخاص والأماكن، ورمزية الرؤى.

اتبع الباحث المنهج التحليلي الاستنباطي، حيث قام الباحث بتحليل الآيات القرآنية، ثم استنبط الملامح الرمزية فيها مع محاولة اسقاط تلك الرموز على الواقع المعاصر.

- دراسة (خمار، ٢٠١٢) (الرمز الديني في شعر محمد بلقاسم:

كان الهدف من البحث هو ابراز القيم الفنية والجمالية والدينية، ويغري الباحث الكشف عن الخصائص التي ميزت الشاعر عن غيره في توظيفه للرموز الدينية، وتطرق الباحث إلى رمزية الأماكن المقدسة (مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس الشريف) ورمزية الشخصيات الدينية (محمد، وعيسى، وموسى) عليهم الصلوات.

اعتمد الباحث المنهج الوصفي والتاريخي، حيث قام الباحث باستنباط تلك الرموز وإسقاطها على الواقع.

الرمز لغة واصطلاحًا:

الرمز لغة:

الرمز في اللغة يعني الإيحاء والإشارة وجمعه رموز. يقول صاحب معجم لسان العرب الرمز هو «تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ، وقيل الرمز إيماء

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

بالعينين والحاجبين والشفتين والفم»[١] وفي المعجم الوسيط رمز إليه رمزًا : أومأ وأشار بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو أي شيء كان.

وفي القرآن الكريم ورد الرمز للدلالة على الإشارة في قوله تعالى: {رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا} [آل عمران: ٤١] يفهم من هذه الآية الكريمة أن الرمز له القدرة على الإفهام وإيصال المعلومة إلى الآخرين، فهو نوع خاص من اللغة الإشارية.

وهناك من حدد الرمز في قالب لغوي وهو أرسطو (ت: ٤٤٨هـ - ٣٨٠ق.م) إذ عرفه قائلاً «الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة».[٢]

وبذلك نستنتج أن الرمز في لغة العرب هو الإشارة، وفي كلام العرب ما يدل على أن الإشارة، أو الرمز طريق من طرق الدلالة.

الرمز اصطلاحًا:

أما الرمز اصطلاحًا فهو «تعبير محدود عن اللامحدود»[٣] أي أن الرمز مثل كلمة (النور) هو تعبير محدود كلمة واحدة، ولكنها تعبر عن معان ودلالات لا محدودة متنوعة مثل: (الإيمان، الخير، العطاء، البشارة)، فهو «الدلالة على ما وراء المعنى الظاهري مع اعتبار المعنى الظاهري مقصود أيضًا»[٤] وهو بلغة أخرى «عبارة عن إشارة حسية مجازية لشيء لا يقع تحت الحواس»[٥]، أو هو «ما يمكن أن يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه ليس بطريق المطابقة التامة وإنما بالإيحاء»[٦] وتحديد معناه الدقيق يستلزم مستويين: مستوى الأشياء الحسية، ومستوى الأشياء المعنوية المرموز إليها، وحين يندمج المستويان في عملية الإبداع نحصل على الرمز[٧] كما يعني «جعل العبارة (مؤشرًا) إلى دلالة محذوفة يقوم الرمز نيابة عنها بصفة

١) لسان العرب, ابن منظور, مادة (رمز) ٧/ ٢٢٢ - ٢٢٣.
٢) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر, محمد فتوح أحمد: ٣٥.
٣) القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي: ٢٠٦.
٤) فن الشعر, إحسان عباس: ٢٠٠.
٥) عن بناء القصيدة العربية الحديثة , علي عشري زايد: ١١١.
٦) في الشعر العربي الحر, خالد سليمان: ٣٢.
٧) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر, محمد فتوح أحمد.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

أنه ينطوي على إيحاءات متعددة لكسب الدلالة مزيدًا من العمق والتنوع»[١]، ولهذا ينظر (بول ريكو) إلى الرمز بوصفه « تعبيرًا لسانيًا ذا معنى مزدوج يتطلب التأويل، ويغدو التأويل فعل يروم فك الرموز»[٢] لأن الرمز يشكل التواءً لغويًا محكومًا باللبس والازدواج في حين التأويل هو ذكاء المعنى المزدوج الذي يشترط زخم الرمزي. بالتفاعل والاستجابة التأويلية يجد الرمز فيها حضوره الأكبر، وهذا الترابط العضوي هو الذي يقود إلى تحديد دقيق لكلا الطرفين، وإلى البحث في البنية الدلالية للرمز[٣] إذ أننا في عملنا للبحث عن المعاني الثانوية للدلالة الرمزية لا يمكن في حال من الأحوال إهمال المعنى الحرفي الأولي لأنه البداية التي تقودنا بوساطة الرمز إلى المعنى المقصود الذي يكون ملازمًا للمعنى الأساس.

الرمز في النصوص القرآنية يشيع في النص دون أن يبرز فيها فضلاً على وظيفة أخرى هي إشراك الآخرين، ولا سيما إذا كان الرمز مشتركًا بين النص والآخرين إذ يفتح الرمز ذاكرة المتلقي على مخزون روحي من جانب، ويثري مضمونه من جانب آخر مع ملاحظة أن « ثمة فرق بين الفهم النظري للرمز، والتمثل الداخلي له. في الحال الأولى لا يبرح الرمز معطيات الحواس، فيظل بذلك خارجيًا مباشرًا. وفي الحال الثانية يتجاوز علائقه الحسية ويعمل على تنوير العمل الأدبي وإكساب المعنى سحر الجدة والحداثة»[٤]. ومن الاستشهادات القرآنية التي تثبت ما ذهبنا إليه قوله تعالى: {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [الإسراء: ٦٤]. استخدم النص القرآني عبارة (خيلك، رجلك) رمزًا للقوة العسكرية بصفتها مصطلحًا عسكريًا يشير إلى (الخيالة، والرجالة) أي من يركب الخيل ويسير على رجليه من المقاتلين، ولم يستخدم النص القرآني عبارة (الجيش أو

١) القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي: ٢٠٥.
٢) النص والجسد والتأويل: ٦٤.
٣) النص والجسد والتأويل: ٦٤.
٤) البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث, مصطفى السعدني: ٧١.



ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الجند) إذ استخدم (الخيل والرجل) رامزًا بذلك للجيش وسلاحه وأثرهما، لنلاحظ أن النص القرآني رمز لتحركات الشيطان بعبارة (واجلب عليهم بخيلك ورجلك)، وكان من الممكن أن يكتفي بعبارة (الجند أو الجيش) أو سواهما، ولكنه استعاض عنهما بما يرمز إليهما.

أهمية الطوفان:

لقد تطور مفهوم الطوفان عبر التاريخ حتى أخذ شكل احتفالات أو طقوس التطهير، فالماء يعتبر رمزًا للتطهر والتخلص من الخطايا، فالخطاب الديني في هذا العهد رمزًا لله الذي أعلن فساد سريرة البشر، وعدم نقاوة قلوبهم، فأرسل عليهم ماء الطوفان لمسح خطاياهم.

وهناك قراءات رمزية لحياة نوح الناجي من الطوفان تبين الندم الذي آلت إليه البشرية. لقد اتسعت حقبة الرمز للطوفان لتشمل الزمن الغابر والزمن الحاضر، إذ يعتبر نوح رمزًا للأبرار الذين نحتاجهم اليوم لإنقاذ عالمنا، وتعتبر سفينة نوح رمزًا لسفينة السلام الذي يحلم به الصغار والكبار تلك السفينة التي ستنجيهم من أشرار هذا العالم.

يرى الأب «ديفو» أن المفهوم الأساسي في قصة الطوفان هو معنى الخلاص الذي يُمنح للعادل دون سواه، فقصة الطوفان ترتقي مع الأب «ديفو» إلى حدث إلهي يصور درسًا دينيًا له مراميه الإيمانية»[١]، فالله لا يريد إبادة البشرية التي خلقها، بل يريد إبادة الخطيئة.

ومما تجدر الإشارة أليه في خضم الحديث عن الرمزية التي حظي بها الطوفان أن هذه الرمزية قد طرقت مختلف جوانب الفكر من فن وأدب وغيره، وحسبنا أن نشير هنا إلى رائعة (Alfred de vigny)[٢] التي نظمها في قمم «البريني» سنة ١٨٢٣م، فهذه القصيدة الشعرية قد خلدت صاحبها في عالم الأدب ليس محليًا أو اقليميًا بل عالميًا.[٣]

١) بوكاي موريس: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم, دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة, دار المعارف للنشر, القاهرة, ١٩٨٣م: ٥٥.
٢) ديوان الشاعر, أو الموقع http://Fr.wikisource.org.
٣) شبكة النت, والبحث في كلمتي Flood, Deluge.

إن الهدف من قصة نوح هو إغراق الأشرار والعاصين من البشر عدا المؤمنين الذين ركبوا مع نوح في سفينة النجاة تلك الشخصية الطيبة التي تنقذ الطيبين، وسمي نوحًا بهذا الاسم لكثرة نواحه وشدة حزنه وبكاؤه على قومه الذين مكث فيهم طيلة سنوات عمره المديد يدعوهم لعبادة الله، ولكن لم يؤمن معه إلا قليل منهم.

قبل الله دعوة سيدنا نوح بعدما رأى منهم العناد والكبر والطغيان، ونوح دعا قومه سنوات طويلة وتيقن من عدم صلاحهم.

لقد كان نوح أسطورة في الصبر والمثابرة، وقد صنفه الله مع الرسل أولي العزم، وتعتبر قصته عبرة لمن لم يتبعوه، كما أنها عبرة لكل الأمم حتى يومنا هذا.

الناس غرقى ولم ينج مع نوح إلا الذين صدقوا دعوته.

يقول الأستاذ عبدالوهاب النجار[١]: لا مانع من أن يعمر آدم ومن قرب منه أعمارًا طويلة لأن النوع الإنساني كان في بدء نشأته لم يحمل همومًا، ولم تعتوره الأمراض المختلفة، ولم تنهك قوته الأطعمة التي لا يقدر على هضمها، فكان من المعقول أن يعيش طويلاً.

وأما نحن وأمثالنا ممن جاؤوا بعد ذلك، فقد جئنا بعد أن أنهكت النوع الإنساني الأمراض وطحنته الأدواء، فالواحد منا عصارة لآلاف الأمراض التي انتابت آباؤه وأمهاته، فلم تعد قوانا تتحمل العمر الطويل.

فنحن الآن لا نعيش عيشة البساطة التي كان يعيشها آدم ومن قرب منه، ولكننا نعيش حياة معقدة، بل نتفنن في أنواع الطعام ولذائذ العيش بما ينهك قوانا، ومن هنا تكون أعمارنا قصيرة، وقد اجتمعت علينا الأمراض المتوارثة.

وقال بذلك أيضًا الشيخ محمد عبده[٢] فلم تزدحم الأمراض على الإنسان لأنه كان يعيش في الزمن الأول على البساطة والفطرة.

ويقول بعض الأطباء الألمان إن إنسان هذا الزمان يمكن أن يعيش

١) قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار.
٢) الأعمال الكاملة، الشيخ محمد عبده.



ثلاثمائة سنة إذا اتبع نظامًا خاصًا من المعيشة البسيطة والأكل البسيط.[1]

إن السفينة والطوفان رمزيان عند البهائيين، ويرون كذلك أن أتباع نوح كانوا على قيد الحياة روحيًا لأنهم حفظوا تعاليمه في حين أن الآخرين ماتوا روحيًا.

وأن نوحًا كان لديه عدد من الصحبة ٤٠ أو ٧٢ بالإضافة إلى عائلته على السفينة، وأنه خاطب الناس ٩٥٠ عامًا رمزيًا قبل الطوفان، وبعد الطوفان بدأت حياة جديدة، ونوح رجل صالح أرسله الله سخطًا على أولئك الأشرار من البشر.

قصة الطوفان عند الشعوب

سفينة نوح في القرآن الكريم:

قال تعالى: {وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [هود: ٤١] السفينة تجري بعناية الله تعالى وتحت بصره.

وقال تعالى: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ} [القمر: ١٤] الكرب عظيم جدًا، والهول مفزع.

يقول رب العزة عن نوح ومن معه: {وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الصافات: ٧٦].

حاول الساخرون اللحاق بالسفينة ليكونوا مع الناجين، ولكن هيهات ولم يحمهم من الغرق شيء.

الطوفان مدمر اكتسح وما زال يكتسح كما أرى البشر روحيًا ونفسيًا، والنجاة والبقاء للمؤمنين والصالحين.

أمر الله نوحًا أن يهبط من السفينة ومن معه بأمان وتحت رعايته تعالى قال تعالى: {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَركَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [هود: ٤٨].

١) الفيضانات العالمية، سيرجي ليونيدوفيتش جولفين.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

وهكذا هبط نوح بسلام لتبدأ حياة جديدة مع أهل الإيمان والصلاح.
هذه هي قصة الطوفان كما وردت في القرآن في بلاغة متناهية، وجمال سرد لأنها من رب العزة جل جلاله.

قصة الطوفان في التوراة:

وردت قصة الطوفان في الإصحاحات السادس والسابع والثامن والتاسع من سفر التكوين:
«رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر، وعزم على أن يمحو الإنسان والبهائم والدواب والطيور، وأن يستثني من ذلك نوحًا لأنه كان رجلاً بارًا كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله، ويقرر الرب نهاية البشرية، ويحيط نوح علمًا بما نواه آمرًا إياه بأن يصنع تابوتًا ضخمًا».[١]
«قال الإله لنوح قد أزفت نهاية البشر جميعًا أمامي وسأبيدهم».[٢]

قصة الطوفان في الكتاب المقدس:

الجنس البشري ما قبل الطوفان انتهك تقريبًا جميع وصايا الله.
يقول الكتاب المقدس : إن الرب نظر إلى البشرية وقال : إن هؤلاء «صاروا جسدًا»[٣] أي أن جميع اهتمامات الناس تركز فقط على المادة والجسد، وإشباع احتياجاتهم العاطفية لذلك تم تدمير هذا الجزء من البشرية، وجاءت إنسانية جديدة من نوح.

قصة الطوفان السومرية:

يتم نقل الكاهن «نوسودرا» الذي يواظب على خدمة الله إلى الجنة، ويعيش مع الله لأنه أنقذ الناس الطيبين من الغرق.

قصة الطوفان البابلية:

الآلهة تبكي بسبب ما يحدث للبشر من غرق ودمار، وهذا يطابق

١) سفر التكوين, ٦/٢٢١.
٢) سفر التكوين, ٦/١٢.
٣) سفر التكوين, الإصحاح السادس.

قوله تعالى في القرآن الكريم: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ} [الدخان: ٢٩].
المنقذ في هذه القصة هو أوتنوبشتيم الذي أنقذ الناس الصالحين، ويقرر الإله إنليل أن يجعل أوتنوبشتيم من الآلهة.

قصة الطوفان الهندية:

نصحت السمكة البطل «مانو» بأن يصنع سفينة، وأخبرته بمن يحمل معه لأنه سوف يحدث طوفان مدمر، ونفذ «مانو» ما طلبت منه السمكة، ونجا ومن معه من الغرق.
القصة رمزية، والسمكة هي من رأت الله بعينها، فسبحت في بحر الحقيقة، وأن الناس الأشرار هم عبارة عن أسماك خارجة من الماء، فهم مغرقون وهالكون وميتون لأنهم لا يجيدون السباحة مثل السمك الذي يكون دائمًا في حالة يقظة، ولا يغلق عينيه أبدًا.

قصة الطوفان الروسية:

يحكي الموروث الشعبي الروسي غواية الشيطان لزوجة نوح التي أعدت شرابًا مسكرًا لزوجها ليبوح بسر صنعه للسفينة، وبذلك تسلل الشيطان إلى السفينة بمساعدة الزوجة الخائنة محاولاً إغراق السفينة بمن عليها، ولكن الله نجا نوحًا ومن معه.

قصة الطوفان اليونانية:

أسطورة يونانية تقول إن كبير الآلهة «زيوس» قرر تدمير العالم، وإغراق الناس الأشرار، فأرسل طوفانًا قضى فيه على الجميع ما عدا «ديكليون» وزوجته «بيرا» اللذين لم يشاركا في الجرائم التي ارتكبها البشر، ولذلك اختارهما «زيوس» وحذرهما من الطوفان، فقاما ببناء سفينة أنقذتهما من الطوفان.

قصة الطوفان في الأمريكتين:

من هاواي تروي إحدى الحكايات الشعبية أن رجلاً اسمه «نونو» صنع زورقًا كبيرًا على شكل منزل، وملأه بالحيوانات قبل أن يبدأ الطوفان ليدمر العالم الشرير، وينجو الرجل بصحبة عائلته.

وفي منطقة البحيرات الكبرى أن الطوفان جاء للقضاء على غطرسة شعب تلك المنطقة، ولن ينج إلا بطلهم القومي «نانابوزو» بصحبة بعض المخلوقات.

وفي أمريكا اللاتينية سنة ١١٠٠ قبل الميلاد أن الإله «فيراكوتشا» قد أغرق البشر في بحيرة تيتكاكا باستثناء اثنين من الصالحين.

تعقيب:

إن انتشار قصة الطوفان بهذه الطريقة، وفي تواريخ مختلفة، ليثبت حسب رأيي أن الطوفان حدث بالفعل مع سيدنا نوح مع قومه، كما جاء في القرآن الكريم، ولم يحدث مع الشعوب الأخرى حقيقة، بل حدث معنويًا وليس ماديًا.

حدث مع نوح لأن الناس في عهده كانوا يعيشون أعمارًا طويلة، ولم يستجيبوا لدعوة نوح، فأهلكهم الله بالطوفان، كما ذكرت سابقًا.

أما بعد نوح عليه السلام، فأعمار الناس قصيرة، فمن رحمة الله أن يكون الطوفان معنويًا، وليس ماديًا، فالله يرسل عليهم الأمراض والأوبئة، بالإضافة إلى أنهم ميتين روحيًا ونفسيًا.

إن انتشار القصة بهذا الشكل، وعلى مستوى العالم، وفي جميع الشعوب تقريبًا، مما يدل على أنها أخذت من أصل واحد قديم لقصة الطوفان الحقيقية التي حدثت لقوم نوح عليه السلام، وأن قصته ظلت تنتقل من شعب لآخر عن طريق التنقلات والهجرات والتجارة، وعلى أزمنة متفاوتة.

قال الله تعالى: {وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفرقان: ٣٧].

وقال تعالى: {فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ} [العنكبوت: ١٥].

وقال تعالى: {وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} [القمر: ١٥].

وقال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ} [الشعراء: ١٢١].

وقال تعالى: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [هود: ٤٤].

حقًا بعدًا وهلاكًا للقوم الظالمين، ومن يعص الله فسوف يمسه العذاب الأليم.

قربان نوح:

يرى كثير من الباحثين المتخصصين في الأنثروبولوجيا الدينية وتاريخ الأديان أن مذبح نوح هو ذاته مذبح آدم، ويبقى هذا الأمر واردًا، بل وقد يكون مؤكدًا، وقد ذهب بعض الباحثين المسلمين المعاصرين إلى هذا الأمر مؤكدين أن القرآن الكريم قد ذكر أن الله أنزل نوحًا منزلاً مباركًا إثر الطوفان، وهذا المنزل المبارك لا يمكن أن يكون إلا البيت (المذبح) الذي بناه آدم من قبل، وهذا الرأي وإن كان فيه ضربًا من التأويل يبقى جديرًا بالاعتبار.(١)

إن أول عمل قام به نوح بعد انتهاء الطوفان هو تقديم قربان أو ذبيحة لله شكرًا وعرفانًا أن نجاه وأهل بيته من الطوفان، فكما بدأت حياة آدم على الأرض بذبيحة أو قربان لأن الله تاب عليه. هكذا تبدأ الحياة الجديدة لنوح بذبيحة يقدمها لله.

تقديم هذه الذبيحة لم يكن ليتم إلا بعد أن غسلت مياه الطوفان الأرض ليقيم نوح بعد ذلك مذبحًا ويقدم قربانه، ولقد حظي نوح أيضًا بمرضاة الله، وفي تقديم هذه القرابين أو الذبائح رمزًا إلى حياة البشرية الجديدة مع الله.

(١) لجنة تأليف كتاب «طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام».

الأرقام الطوفانية والرمز

الرقم اثنان:

الرقم اثنان له دلالة رمزية، فدخول الحيوانات إثنين إثنين إلى الفلك، ودخول البشر أيضًا، فنوح وأولاده لم يكن لكل واحد منهم سوى زوجة واحدة، فهذا يرمز للرباط الأبدي الذي يجمع بين الزوجين، ويثنيهما عن التفكير في الانفصال، أو التغيير، أو التعداد.

الرقم ثلاثة:

هذا الرقم يمثل عدد المرات التي أطلق فيها نوح الحمامة ليتحقق من جفاف اليابسة، وأما دلالة الرقم ثلاثة الرمزية، فهي أنه في المرة الأولى لم تجد الحمامة لرجلها مقرًا، وفي ذلك إشارة إلى النفس القلقة التي تأبى أن تعيش وسط الجيف، فتنجذب نحو الفلك لتجد يد الله ممتدة لتحملها، وفي المرة الثانية عادت الحمامة حاملة غصن الزيتون الذي هو رمز للسلام. أما في المرة الثالثة، فقد خرجت الحمامة ولم تعد، وفي ذلك إشارة إلى انطلاق الموكب كله إلى الأرض الجديدة إلى حيث تنعم النفس بالأبدية. يتضح من خلال ذلك ما قدمه الرقم ثلاثة من رموز ولدت جملة من المعاني والعبر.

الرقم سبعة:

للرقم سبعة دلالات رمزية، فهذا الرقم مثل في وقائع الطوفان المدة التي استغرقها نوح في إدخال الحيوانات إلى الفلك.

الرقم ثمانية:

الرقم ثمانية يمثل عدد الناجين في الفلك، فقد كانوا ثمانية أشخاص.

الرقم عشرة:

مياه الطوفان كانت تنقص نقصانًا متواليًا إلى الشهر العاشر، وأن

ium.usa.online@gmail.com
www.ium.edu.so
+ 967 730053135
http://ium.usa.online

رؤوس الجبال ظهرت في أول الشهر العاشر، فقد اقترن الرقم عشرة بظهور رؤوس الجبال.

الرقم أربعون:

للرقم أربعين وقعه الخاص ورمزيته، فهذا الرقم يمثل مدة الطوفان، وهي ذات المدة التي صامها موسى منتظرًا لقاء ربه أربعين ليلة، ولقد ذكر القرآن هذا الأمر في سورة البقرة، فقال تعالى: {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} [البقرة: ٥١].

والرقم أربعون يمثل أيضًا عدد السنين التي حكم فيها الله على بني اسرائيل بالتيه في الأرض، فقد تطرق القرآن الكريم أيضًا إلى هذه المسألة، فقال تعالى: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ} [المائدة: ٤٦].
يتبين لنا ما للرقم أربعين من حضور ورمزية في القرآن الكريم.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

الخاتمة

إن دراستنا لرمزية قصة الطوفان، وإن كانت تتناول قصة بعينها، فإنها مع ذلك تسلط الضوء على سائر قصص القرآن الكريم، والكتب السماوية الأخرى التي يحسن بالباحثين في علم مقارنة الأديان دراستها دراسة نقدية مقارنة.

إن تأمل آيات الخالق العظيم، والتعمق في فهم الأسلوب القرآني الذي فاق كل أسلوب لرحلة شيقة منَ الله بها علينا.

وقصة الطوفان من خلال المكتشفات الأثرية وأساطير الشعوب الأخرى، فجميع هذه الدول أو الحضارات على الرغم من اختلافها في تفاصيل قصة الطوفان إلا أنها تشترك في عدة أمور أساسية.

أهم النتائج التي توصل إليها بحثنا الموسوم بـ «الرمز في قصة الطوفان» ما يأتي:

- يكتسب الرمز القرآني في كل نص من نصوصه مدلولاً جديدًا، ولا يتجمد عند مدلول واحد محدد لأن الرمز إذا تجمد فقد قيمته الفنية كرمز.
- اشتملت قصة الطوفان على رموز متعددة شكلت المقصدية، ولم تكن تلك الرموز مجرد ملصقات على جسد القصة القرآنية، بل كانت الأصل الذي بنيت عليه القصة.
- إن القرآن الكريم يستخدم الرمز القصصي في سياقات كثيرة تتطلب أن يعمل ذهن الإنسان ليستخلص بنفسه ما تتضمنه من دلالات متنوعة تتناسب مع تجربة وثقافة كل شخص.
- إن الرمز في القصة القرآنية يجسد مبدأ العمق والوضوح لأن سمة الدلالة التي يعبر عنها تمثل مبدأ العمق.
- إن الرمز في القصة القرآنية يقوم على الحقيقة بمعنى أن الرمز الذي يستعمله القرآن له وجود حقيقي في الواقع الذي يتحدث

عنه، وليس وهمًا.

- إن البشر أثاروا سخط الآلهة، فقامت الآلهة بعقاب البشر بإرسال طوفان عام الهدف منه إبادة البشرية.
- الإبقاء على رجل واحد صالح وحكيم وعائلته، أو قلة من البشر على شاكلته.
- إن النجاة تتم في معظمها بسفينة يركبها الصالحون بأمر الإله.

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- البستاني، محمود (١٩٩٤) القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي (ط١) إيران، مجمع البحوث الإسلامية.
- بلعلي، آمنة (١٩٨٨) الرمز الديني عند رواد الشعر العربي الحديث (السياب، عبد الصبور، خليل حاوي، أدونيس) رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الجزائر.
- بوكابي، موريس (٢٠٠٤) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، مصر، مكتبة مدبولي.
- الحاوي، إيليا (١٩٤٣) الرمزية والسريالية في الشعر العربي، لبنان، بيروت، دار الثقافة.
- الجندي ، درويش (١٩٥٧) الرمزية في الأدب العربي ، مصر ، دار نهضة مصر للطباعة .
- خلف ، جلال عبدالله (٢٠١١) الرمز في الشعر العربي ، (العدد ٥٢) العراق ، جامعة ديالي .
- الخليفة ، وليد صالح (٢٠٠٩) الرموز الدينية عند السياب ، (العدد ٢١) عُمان ، مجلة نزوى .
- الزاهي ، فريد (٢٠٠٣) النص والجسد والتأويل ، الدار البيضاء ، المغرب ، الناشر :افريقيا الشرق .
- زايد ، علي عشري (٢٠٠٢) عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، (ط٤) مصر ، القاهرة ، مكتبة الآداب .
- الزهراء ، هدى وفاطمة (٢٠٠٦) جمالية الرمز في الشعر الصوفي ، محي الدين ابن عربي أنموذجاَ ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، تلمسان ، جامعة أبي بكر بلقايد .
- السعدني ، مصطفى (١٩٨٧) البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي ، مصر ، الإسكندرية ، منشأة المعارف .

- سلطان ، محمد فؤاد (٢٠١٠) الرموز التاريخية والدينية في شعر محمود درويش ،(العدد ١) مجلة الأقصى .
- صعيدة ، نزار علي الصغير (٢٠١٥) رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي ، تونس ، مجلة الجامعة الإسلامية .
- عباس ، إحسان (١٩٥٥) فن الشعر ، لبنان ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر .
- عبده ، الشيخ محمد (١٩٩٣) الأعمال الكاملة (ط١) مصر ، القاهرة ، دار الشروق .
- غطاس ، أنطون (١٩٤٩) الرمزية والأدب الحديث (ط١) لبنان ، بيروت ، دار الكشاف .
- فتوح ، أحمد محمد (١٩٧٧) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر (ط١) مصر ، القاهرة ، دار المعارف .
- فيغني ، الفرددي (٢٠٠٠) ديوان الشاعر ، الأردن ، عمان ، مؤسسة هنداوي .
- ابن منظور ، جمال الدين مكرم (٢٠٠٨) لسان العرب (ط١) لبنان ، بيروت ، دار صبح .
- النجار ، عبدالوهاب (١٩٧١) قصص الأنبياء ، لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية .
- الياسين ، ابراهيم منصور (٢٠١٠) الرموز التراثية في شعر عزالدين المناصرة ، سوريا ، دمشق ، مجلة جامعة دمشق .
- http: //fr.Wikisource.org
- http://org.wikipidia

ium.usa.online@gmail.com www.ium.edu.so
+ 967 730053135 http://ium.usa.online